الأزمة التي أفزعت العالم؟!

محمود مصطفى

. . . إنها أزمة حقيقية تهدد العالم كله شرقه وغربه . . وقد تؤدي إلى كارثة . .

. . وهي محيرة تماما فأطراف النزاع فيها . . كل منهم يلقي باللوم على الطرف الآخر وكل منهم لديه من الحجج والبراهين ما يجعلك تقع في الحيرة الشديدة أيها تصدق . . ؟

. . إنها أزمة الطاقة . . !

عقد من أجلها الكثير من المؤتمرات والاجتماعات الدولية وطار من أجلها جدك كثير . .

. . كانت الدول المستهلكة تحتي دائما باللوم على الدول المنتجة لرفعها أسعار النفط مما يضطرها هي الأخرى إلى رفع أسعار منتجاتها الصناعية . ثم بالتالي رفع أجور عمالها . . والدخول إلى أبواب أزمة أخرى عرفها العالم أخيرا هي . . التضخم . .

. . وكانت الدول المنتجة للنفط تحتي باللائمة بدورها على الدول الكبرى المستهلكة له . . لأنها هي الأخرى ترفع أسعار صادراتها من السلع الغذائية وغيرها إلى الدول المنتجة فتضطر إلى رفع أسعار النفط لتغطية ما تحتاج إليه من سلع غذائية واستهلاكية . .

. . وكما نرى فقد بدأت تدور في دائرة أية نقطة على محيطها لتصبح نهاية الدائرة يمكن أن يكون بداية لها . .

. . وبين هؤلاء وأولئك تقع دول أخرى ضحية لتلك الحرب . . دول في أفريقيا وشرق آسيا وأمريكا اللاتينية . . ودول فقيرة ازدادت فقرا . . ودول حدثت بها مجاعات . .

. . وحدث ذات مرة أن تعرض وزراء خارجية الدول المصدرة للنفط . أولئك . إلى الهجوم بالسلح وأخذ بعضهم كرهائن وقتل أحدهم في الشرقة . . وبكي واحد آخر عند الإفراج عنه وأصيب ثالث بالغباء . . ثم . . عادت الاجتماعات وعادت المشكوى من كل

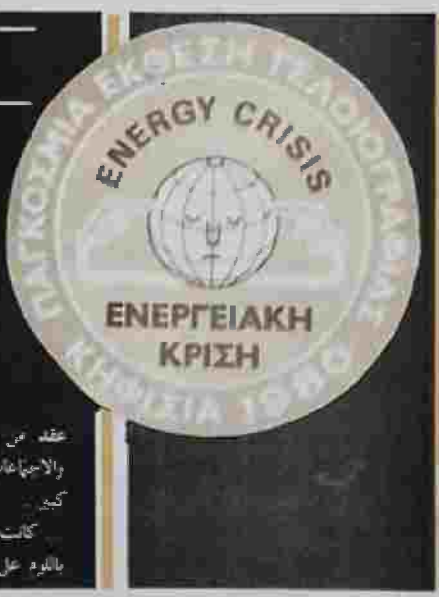

الأطراف .. بلا جدوى .

ولكن السؤال الآن .. هو كيف أضحكت هذه الأزمة العالم ؟ . إنها تراجيديا مأساوية من النوع الذى يدعو إلى الأسى والحزن .. فكيف أضحكت العالم .. ؟ ! .

.. السبب هو ذلك المعرض الذى أقيم بأثينا عاصمة اليونان فى الشهر الماضى وهو المعرض الدولى لرسامى الكاريكاتير العالميين الذى ضم أعمالا لأكثر من أربعمائة رسام يمثلون دول العالم المختلفة من كافة المذاهب السياسية والاختلافات الأيديولوجية حيث عرض أكثر من ألف وخمسمائة لوحة كاريكاتورية تحمل نفس العنوان .. أزمة الطاقة .. !

.. كان المعرض بمثابة إجتماع ضاحك لمناقشة الأزمة .. اشتركت فيه كل من : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية والغربية وأمريكا اللاتينية وافريقيا واستراليا .

واشتركت مصر فى هذا المعرض وكان لى شرف تمثيلها حيث كنت الرسام العربى الوحيد الذى عرضت أعماله كما اختيرت إحدى لوحاتى الثلاث التى اشتركت بها ضمن الكتالوج الخاص بالمعرض . وكان لابد من ايجاد مكان فسيح يتسع لهذا العدد الضخم من اللوحات المختلفة الأحجام فليست هناك صالة عرض تستوعب مثل هذا العدد .

ولذلك اختير الحديقة الرائعة المتطلقة «كيفيسيا» بضواحى أثينا وكان عدد الزوار يفوق كل التوقعات رغم أن إقامة المعرض جاء مع توقيت الدورة الأولمبية اليونانية بمدينة موسكو . وهى من الأحداث الرياضية التى تهم الشعب اليونانى كله عن فيهم رسامو الكاريكاتير أنفسهم .. ! ومع ذلك فقد بلغ عدد زوار المعرض فى اليوم الواحد أكثر من ألفين .. كانوا يتساءلون فى أيام الآحاد مما أعطى مؤشرا حقيقيا بأن الناس يقبلون على فن الكاريكاتير أكثر من إقبالهم على أى لون آخر من الفنون التشكيلية وبأنه أقربها إلى فهمهم ووجدانهم .

.. وقد أشرف على إعداد هذا المعرض الضخم إثنان من كبار الرسامين اليونانيين هما الفنان (إلياس ميكولاس ٥٠ سنة) والفنان (كوستاس فلاخوس ٤٥ سنة) .. وهما من الفنانين المعروفين على المستوى الشعبى العام والنطاق الخاص فى بلدهما .. كما أن للفنان ميكولاس دوراً سياسيا فى مقاومة بابا دوبلوس فى عهد الدكتاتورية باليونان .. وله أيضا الكثير من الكتب التى تضم إنتاجه الغزير من الكاريكاتير السياسى والاجتماعى .. وكان هذان الفنانان يتناوبان التواجد فى المعرض بشكل دائم طوال الشهر الذى أقيم فيه لاستقبال الزوار وتقديم الإيضاحات للجماهير ومقابلة الوزراء والمسئولين الذين لم ينقطعوا طوال أيام المعرض عن زيارته وخاصة بالليل حيث كانت الأبواب مفتوحة للجمهور حتى قبل منتصف الليل

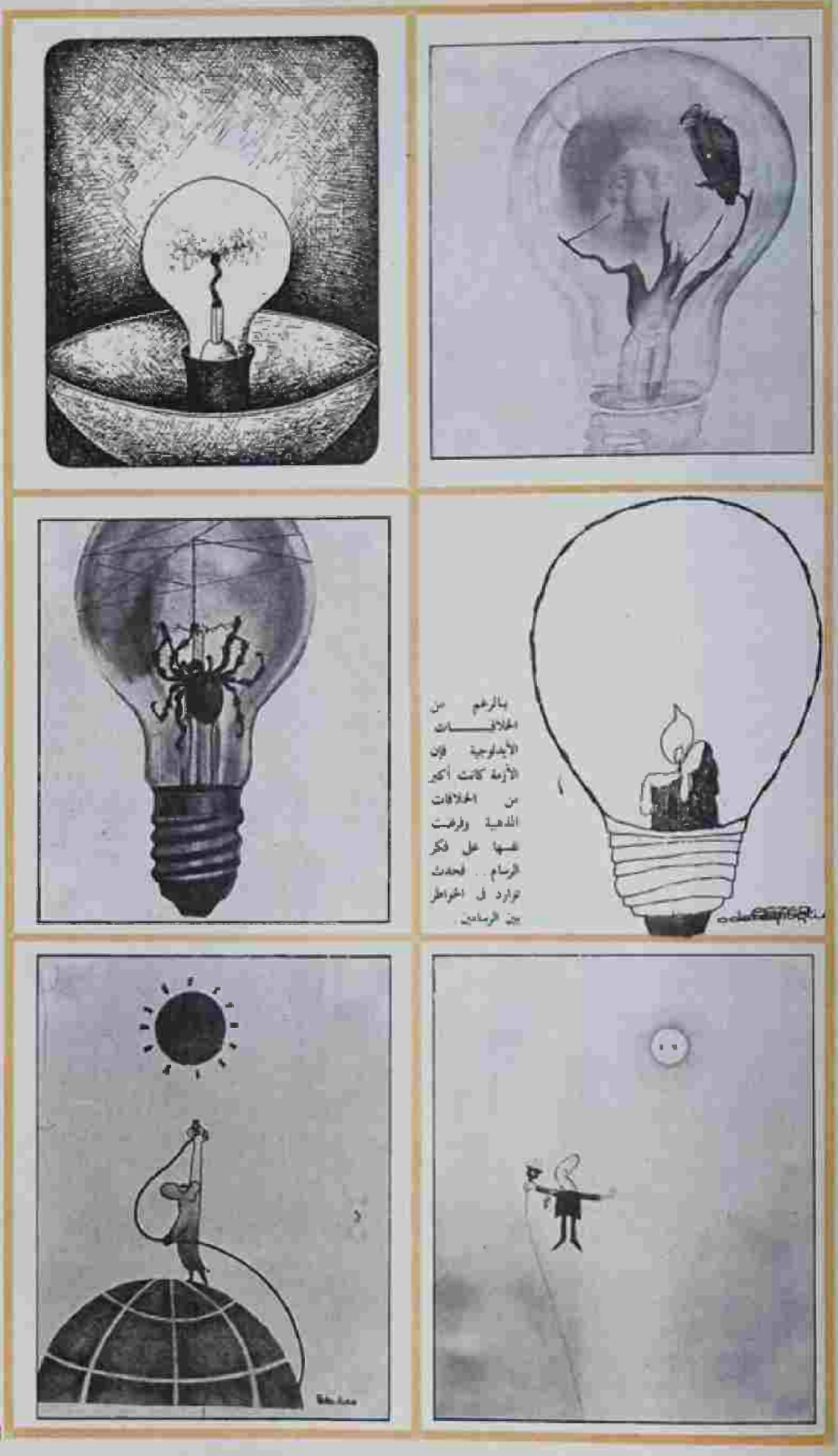

الأزمة التى أضحكت العالم

بالمقابل . . وقد تقابلت فى هذا المعرض مع العديد من الشخصيات الفنية والمسئولين اليونانين وأذكر أنى سألت السيد وزير الاقتصاد فى الحكومة اليونانية . وكان بين الضيوف عن رأيه من الناحية الاقتصادية البحتة فى مثل هذا المعرض . وهل هى فكرة رابحة أم خاسرة ماديا . . فنظر إلى نظرة ذكية وقال .

- وهانا تريد أن تفصل بين النجاح الفنى والنجاح المادى . . ؟

. . ونظر حوله فى فخر وأشار إلى اللوحات التى تضم أعمال كبار الفنانين فى العالم وقال فى زهو . .

- أى نجاح أكبر من هذا . . ؟ ألا يساوى ذلك الكثير . . ؟ !

قلت - نعم . .

ولكن الرسام نيكولاس أجاب عن سؤالى إجابة اقتصادية بحتة . فقد قال إن المعرض يغطى تكاليفه من بيع تذاكر الدخول . وكذلك بيع الكتالوجات التى تضم اللوحات المختارة من المعرض . وكذلك من الإعلانات . . فساءلت فى بلاهة - أى إعلانات . . ؟

قال . . ألم تلاحظ طوال الطريق من أثينا إلى كيفيسيا بين كل مائة متر لوحات إعلانية ضخمة عن المعرض . . هذه اللوحات اشترتها شركة ألمانية تنتج شموع الإشعال الخاصة بالسيارات ، البوجيهات ، لتعلن فى أسفلها عن منتجاتها من « مولدات الطاقة » . ودفعت بطبيعة ذلك مبلغا كبيرا يغطى الكثير من النفقات

ونعود مرة أخرى إلى فضية الألف وخمسمائة لوحة كاريكاتورية المعروضة فى مكان تتناسب فيه الموسيقى الهادئة من الصباح إلى المساء فى جو طبيعى يكاد من جماله أن يكون من نسج الخيال

. . بدأت القصة فى عام ١٩٧٥ بعد أن تخلصت اليونان من الحكم الفاشستى لبابا دوبادوس . وكانت فكرة إقامة أول معرض فى هذا المكان عن الفاشية والشرك فيه رسامو العالم من كل مكان ونجحت الفكرة فكان المعرض الثانى ١٩٧٧ عن تلوث البيئة وازدادت الفكرة نجاحا فأقيم المعرض الثالث هذا العام الذى فاق سابقيه . . عدد الدول العارضة وعدد الرسامين وكذلك . . عدد ما قدمه كل رسام من أعمال حيث اشترك بعض الرسامين بأكثر من عشر لوحات للرسام الواحد . .

. . ولذلك فالمعرض يعتبر من الناحية الفنية مدرسة من مدارس الكاريكاتير تضم جميع الاتجاهات التشكيلية فى مجال هذا الفن .

. . هناك دول تقدمت كثيرا . . وهناك دول تخلفت كثيرا .

فى الديمقراطية تحت دول فى مجال هذا الفن وبالعكس . .

. . الكاريكاتير السوفيتى مثلا لا يدعو حتى إلى الابتسام . . إنه شىء جاف وجامد لا حياة فيه كالعربة السكوفيتش ! ! .

. . الكاريكاتير الأمريكى الذى يعتمد على الحوار المباشر لتوضيح الفكرة ويقوم الرسم فيه بالدور الثانى . . !

. . الكاريكاتير الفرنسى الذى يبلغ الغاية فى التبخيس من حيث الخطوط والأفكار كان الرسام يقول لك . . ليس عندى من الوقت الكافى للرسم أكثر من هذا وعليك أنت إدراك الباقى . . !

هذا بالإضافة إلى أن فكرة أزمة الطاقة كمشكلة عالمية قد إرتفعت بفكر الفنان فوق مستوى العصبيات الأيديولوجية حتى أن تشابه الأفكار قد تكرر فى عديد من اللوحات بين أكثر من رسام أحدهم من الكتلة الشيوعية والآخر من الكتلة الرأسمالية وثالث من دولة ليبرالية . . وهذا هو الجديد فى هذا المعرض الذى يختلف عن سابقيه فى السنوات الماضية . كأنما العالم ينسى مذاهبه ويفكر بوجدان واحد إذا ما تعرض لمشكلة مشتركة أو هددته أزمة واحدة . . !

وقد رشحت لوحة الرسام الفنجارى (بوستاينر) للفوز بجائزة المعرض وقدرها مائة ألف دراخمة يونانية . . وهى تصور زعيما لإحدى الدول فى زيارة لدولة أخرى وقد اصطف حرس الشرف لاستقباله فى المطار ويسير فتاة صغيرة لتقديم الزهور كما هى العادة فى هذه المناسبة . . وقد وقف سائق يمسك له بدراجة حتى يركبها بدلا من السيارات الفارهة . . بينما هو نفسه يهبط إلى المطار بدون طائرة . . إنما بأجنحة هوائية ركبت فى جسمه تماما كالعباس بن فرناس أول من حاول الطيران بتقليد الطيور . . وقد كتب على سلم المطار ، الخطوط الجوية لأزمة الطاقة ، وقد استخدم الرسام أسلوبا بعيدا عن كل التعقيدات التشكيلية يميل إلى البساطة الشديدة فى اللون والظل فخرجت الفكرة حديثة الدم . كأنك أعطيت قلما جيدا إلى خياط بارع فقام بتفصيله فأخرج شيئا يثير الإعجاب للوهلة الأولى . .

وسوف أحاول أن أقدم للقارىء بعض اللوحات التى اختيرتها من هذا المعرض . وهى ليست بأحسنها . إنما هى أقرب إلى الذكاء المصرى والنكتة المصرية . . وفى نفس الوقت تعطى فكرة للقارىء عن الاتجاهات المتعددة فى هذا المعرض بقدر الإمكان . .

رسام مجلة أكتوبر محمود مصطفى والكاريكاتير الوحيد الغير منشور فى كتب المسابقة